كانوا لا ينتمون الى عشيرته ، بل الى عشيرة امهم ، فكانوا يرثون امهم بادىء ذي بدء مع سائر اقربائها بالدم ، وفيمابعد ، في المقام الاول اغلب الظن · بيد انه لم يكن بوسعهم ان يرثوا والدهم لانهم كانوا لا ينتمون الى عشيرته · فكان ينبغي ان يبقى ملك الاب في هذه العشيرة · ولذا بعد وفاة صاحب القطعان ، كان ينبغي ان تنتقل قطعانه في المقام الاول الى اخوته واخوانه والى اولاد اخواته او حتى الى ذريات اخوات امه · اما اولاده بالذات فكانوا محرومين من ارثه ، وهكذا بقدر ما كانت الثروات تتنامى ، كانت من جهة تعطي الزوج مركزا اهم من مركز الزوجة ، وكانت من جهة اخرى تولد السعي الى الاستفادة من هذا المركز المترسخ لاجل تغيير نظام الوراثة التقليدي في مصلحة الاولاد · ولكنه لم يكن من الممكن ان يتحقق هذا طالما كان النسب يحسب تبعا للحق الامي · ولهذا كان ينبغي الغاء هذا الحق ، فالغي · ولم يكن ذلك صعبا بالقدر الذي نتصوره الان · فان هذه الثورة التي كانت من اهم الثورات التي عرفتها البشرية لم تكن بحاجة الى مس اي من اعضاء العشيرة الاحياء · فقد كانفيوسعهم جميعهم ان يبقوا كما كانوا بالامس · كان يكفي اتخاذ قرار بسيط يقضي بان تبقى ذرية اعضاء العشيرة الرجال في المستقبل ضمن العشيرة ، وبأن تخرج ذرية اعضاء العشيرة النساء منها وتنتقل الى عشيرة والدها · وهكذا الغي الانتساب حسب حبل النسل النسائي وحق الوراثة حسب خط الام ، واقر الانتساب حسب حبل النسل الرجالي وحق الوراثة حسب خط الوالد » · (٣٤) وباسقاط الحق الامي اخذ الزوج دفة القيادة في البيت ، وحرمت الزوجة من مركزها المشرف ، واستذلت وغدت عبدة رغائب زوجها · وامست اداة بسيطة الانتاج الاولاد · (٣٥) وما ان اقرت سلطة الرجال على هذا النحو ، حتى اخذ مفعولها يتبدى في شكل انتقالي ظهر آنذاك هو شكل العائلة الابوية التي تميزت بالسلطة الابوية ، وبضم العبيد الى العائلة · وكانت العائلة الرومانية هي النموذج النهائي الكامل لهذا الشكل ، وقد شكلت هذه العائلة الدرجة الانتقالية من العائله التي انبثقت من الزواج الجماعي وقامت على الحق الامي الى العائلة الفردية في العالم الحالي (٣٦) ·

[٣]

شرط تحرر المرأة

لم تحظ المرأة بمركز مرموق الا في المجتمع الشيوعي البدائي ، اما في مجتمعات العبودية والاقطاع والرأسمالية ، فقد حظي الرجل بهذا المركز المرموق وجعل المرأة تابعة له وملحقة به · وهذا يعود الى ان دور المرأة الاقتصادي في المجتمع الشيوعي البدائي كان ضربا من النشاط الاجتماعي الضروري للمجتمع ، في حين تحول هذا الدور في مجتمعات العبودية والاقطاع والرأسمالية الى الرجل الذي اصبح يملك الثروة ويسيطر على قوى الانتاج الاساسية في المجتمع · لقد كرست الديانات والتشريعات القديمة هذه الهيمنة للرجل ، ففي حين قدمت لنا ميثولوجيا العصور البدائية المرأة بصفتها الآلهة المسؤولة عن التناسل والخصب او المانحة الذكاء ، او العرافة التي تقرأ المستقبل او واهبة الاسرار والمعجزات ، مما يدل على مكانتها المرموقة آنذاك ، نجد ان المرأة بعد ان فقدت مكانتها هذه في المجتمعات اللاحقة ، تحولت الى انسان تابع للرجل وملحق به ، فشريعة مانو في الهند لم تكن تعرف للمرأة حقا مستقلا عن حق ابيها او زوجها او ولدها في حالة وفاة